العدد 3379 - السنة الثانية عشرة
الإثنين 22 رمضان 1440 - الموافق 27 مايو 2019
Monday 27 May 2019 - No.3379 - 12 th Year

وضع علم النحو في اللغة العربية

أبو الأسود الدؤلي .. شكل أحرف المصحف .. ووضع النقاط على الأحرف

صورة تخيلية لأبي الأسود الدؤلي

مثال على تطور نظام الكتابة العربية من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر ويظهر في الفترة الثانية نظام أبو الأسود الدؤلي المبكر

أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني (16 ق.هـ/69 هـ)، من سادات التابعين وأعيانهم وفقهائهم وشعرائهم ومحدثيهم ومن الدهاة حاضري الجواب وهو كذلك نحوي عالم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف، ووضع النقاط على الأحرف العربية بأمر من الإمام علي بن أبي طالب، ولد قبل بعثة النبي محمد وآمن به لكنه لم يَرَه فهو معدود في طبقات التابعين وصَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته، وشهد معه وقعة صفين والجمل ومحاربة الخوارج. ويُلقب بلقب ملك النحو لوضعه علم النحو، فهو أول من ضبط قواعد النحو، فوضع باب الفاعل، المفعول به، المضاف وحروف النصب والرفع والجر والجزم، وكانت مساهماته في تأسيس النحو الأساس الذي تكوّن منه لاحقًا المذهب البصري في النحو.

وقد وصفه الذهبي في ترجمته له في كتابه «سير أعلام النبلاء» بقوله: «كان من وجوه شيعة علي، ومن أكملهم عقلا ورأيًا، وكان معدودًا في الفقهاء، والشعراء، والمحدثين، والأشراف، والفرسان، والأمراء، والدهاة، والنحاة، والحاضري الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصُلع الأشراف».

نشأته

ولد أبو الأسود الدؤلي قبل الهجرة النبوية بست عشرة سنة، وقد اختلف في اسمه ونسبه فقيل اسمه ظالم بن عمرو بن ظالم، وقيل ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل عثمان بن عمرو، وقيل عمرو بن ظالم وقيل عمرو بن سفيان، وقيل عويمر بن ظويلم.

أما نسبه فقيل هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدؤل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

كنيته أبو الأسود، وقد طغت كنيته على اسمه فاشتهر بها، علمًا بأنه لم يكن ذا بشرة سوداء، وليس له ولد اسمه أسود. وقد رضي أبو الأسود لنفسه هذه الكنية، لأن اسمه (ظالم) ثقيل على السمع، مع أنه يتنافى مع مكانته الاجتماعية وكونه قاضيا يتصف بالعدل، فأبعد اسمه عن نفسه حتى لا يؤثر على المظلوم. والدته هي: الطويلة من بني عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، العبدرية القرشية.

حياته في الإسلام

أسلم أبو الأسود الدؤلي في حياة النبي محمد، ولم يلقاه على الرغم من أنه أدركه فهو من المخضرمين وليس من الصحابة، إلا أنه ورد المدينة المنورة، وسمع من بعضهم. وكان قومه بنو الدئل بن بكر حلفاء لقريش ضمن عقد صلح الحديبية وهم الذين عدوا على خزاعة وكان ذلك سبب فتح مكة من قبل النبي محمد.

دخوله للمدينة

من المعروف أن أبا الأسود ولد وأسلم قبل وفاة النبي وقد كان يعيش مع قومه بني الدئل جنوب مكة المكرمة فلم يدخل المدينة إلا بعد وفاة النبي وقد نهل فيها من العلم الشرعي حيث أخذ الحديث عن عدد من الصحابة منهم الخليفة عمر بن الخطاب. وقال أبو عمرو الداني: قرأ القرآن على عثمان، وعلي. قرأ عليه ولده أبو حرب ونصر بن عاصم الليثي، وحمران بن أعين، ويحيى بن يعمر.

روايته للحديث

روى عن: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري وأبي موسى الأشعري وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود والزبير بن العوام، وعبد الله بن عباس وعمران بن حصين ومعاذ بن جبل.

روى عنه: ابنه أبو حرب بن أبي الأسود الدؤلي ويحيى بن يعمر وعبد الله بن بريدة وعمر بن عبد الله مولى غفرة وسعيد بن عبد الرحمن بن رقيش.

الجرح والتعديل: وثّقه يحيى بن معين والعجلي، وقالا: «ثقة، كان أول من تكلم في النحو». كما وثّقه ابن سعد. وقد روى له الجماعة في كتبهم.

هجرته إلى البصرة

هاجر إلى البصرة بعد الفتح في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسكن فيها وله بها مسجد باسمه، وقد حصلت له بالبصرة حوادث مع بني قشير من هوازن منها أنه قال لهم: «ما في العرب أحب إليّ طول بقاء منكم». قالوا: «ولم ذاك؟» قال: «لأنكم إذا ركبتم أمرا علمتُ أنه غيّ فاجتنبه وإذا اجتنبتم أمرا علمتُ أنه رشد فاتبعه».

توليه قضاء البصرة ثم إمارتها

تولى عددًا من المناصب بالبصرة في خلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان، ولما قامت الفتنة، كان أبو الأسود في شيعة علي بن أبي طالب، وقاتل معه في موقعة الجمل.

وقد ولاه علي قضاء البصرة في ولاية عبد الله بن عباس على البصرة، وقد استخلفه ابن عباس على البصرة لما ذهب ليحضر التحكيم بعد موقعة صفين، وأقر علي بن أبي طالب ذلك.

وضعه لعلم النحو

كان أبو الأسود مشهورًا بالفصاحة وقد قال عن نفسه: «إني لأجد للحن غمزًا كغمز اللحم». وقد أجمع المؤرخون واللغويون على أن أبا الأسود الدؤلي أول من وضع علم النحو، فقال محمد بن سلام الجمحي: «أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزم، فأخذ ذلك عنه يحيى بن يَعْمَر»، وقال أبو عَلِي القَالِيّ: «حدثنا أبو إسحاق الزجاج، حدثنا أبو العباس المبرد، قال: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود على أنه أول من وضع علم النحو».

وبهذا، فإن تأسيس علم النحو يعد أعظم أعمال أبي الأسود الدؤلي، وقد استفاد أبو الأسود من علمه بقراءة القرآن الذي عرضه على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وروى القراءة عنه ابنه أبو حرب ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثي.

وقد اختلفت الأقاويل في سبب وضعه للنحو، فقيل أنه وضعه بأمر من علي بن أبي طالب، لما سمع أخطاء غير العرب في نطق اللغة، فأراه أبو الأسود ما وضع، فقال علي: «ما أحسن هذا النحو الذي نحوت». فمن ثم سُمِّيَ النحو نحوًا.

وقال يعقوب الحضرمي: «حدثنا سعيد بن سلم الباهلي، حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي الأسود قال: دخلت على عليّ، فرأيته مطرقا، فقلت: فيم تتفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال: سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا، أحييتنا. فأتيته بعد أيام، فألقى إليّ صحيفة فيها: الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال لي: زده وتتبعه، فجمعت أشياء ثم عرضتها عليه». وقيل أن أبا الأسود سمع رجلا يقرأ آية وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ بكسر كلمة «رَسُولِهِ» بدلا من ضمّها مما يغير معنى الآية، وتفيد بأن الله يبرأ من رسوله، فانطلق أبو الأسود لوقته إلى الأمير وقتها زياد بن أبيه، وقصّ عليه ما سمع، وساله أن يدفع له كاتبًا ليضع كتابًا في اللغة، فأتى به فقال له أبو الأسود: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة أعلاه، وإذا رأيتني قد ضممت فمي، فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت، فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا اتبعت شيئا من ذلك غُنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين»، فكان هذا نهج أبي الأسود في تشكيل الحروف، لذا فهو يعد أول من نقط المصاحف، وأخذ عنه هذا النحو عنبسة الفيل.

وكان أول ما وضع أبو الأسود أبواب الفاعل والمفعول والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم.

دهاؤه وحنكته

روي أن علي بن أبي طالب أراده ليكون المفاوض عنه في حادثة التحكيم بعد وقعة صفين فأبى الناس عليه، وروي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية: «أكنت ذكرت للحكومة» (الحكومة هنا بمعنى الحكم بين الفريقين المتخاصمين) قال الدؤلي: «نعم»، قال: «فما كنت صانعًا». قال: «كنت أجمع ألفا من المهاجرين وابنائهم وألفا من الأنصار وابنائهم ثم أقول يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء»، فضحك معاوية ثم قال: «إذا والله ما اختلف عليك اثنان»، وقصد معاوية هنا أن حُجة أبا الأسود مقنعه ولكان الناس رضوا بحكم أبا الأسود بأن عليا أحق بالخلافة.

وفاته

أصيب أبو الأسود الدؤلي في آخر حياته بمرض القالج، مما سبب له العرج. وتوفي في البصرة في ولاية عبيد الله بن زياد سنة 69 هـ في طاعون الجارف، وعمره 85 سنة.

وضع النحو بعد أن سمع أخطاء غير العرب في نطق اللغة

تستخدم هذه الرقعة بشكل خاص النقاط بريقالية اللون لتمثل الفتحة والكسرة والتنوين بهما، وضع هذا الأسلوب الإملائي أبو الأسود الدؤلي لجعل الخط الكوفي القديم غير المنقط مقروءا بشكل أفضل